

تفسير البحر المحيط

@ 132 @ عليهم وتنبه على فساد حالهم لأن هذا المنع لم يكن بقصد منهم أن يمتنعوا ليجيئهم العذاب ، وإنما امتنعوا هم مع اعتقاد أنهم مصيبون لكن الأمر في نفسه يسوقهم إلى هذا فكان حالهم يقتضي التأسف عليهم . و { الذّاس } يراد به كفار عصر الرسول صلى الله عليه وسلم) الذين تولوا دفع الشريعة وتكذيبها قاله ابن عطية . .

وقال الزمخشري : إن الأولى نصب والثانية رفع وقبلهما مضاف محذوف تقديره { وَمَا مَدَّعَ الذّاسَ } الإيمان { إِلا } انتظار { أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْوَالِيْنَ } وهي الإهلاك { أَوْ } انتظار { أَنْ يَأْتِيَهُمْ * الْعَذَابَ } يعني عذاب الآخرة انتهى . وهو مسترق من قول الزجاج . قال الزجاج : تقديره ما منعهم من الإيمان { إِلا } طلب { أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْوَالِيْنَ } . وقال الواحدي : المعنى ما منعهم إلاّ أني قد قدّرت عليهم العذاب ، وهذه الآية فيمن قتل بدر وأحد من المشركين ، وهذا القول نحو من قول من قال التقدير { وَمَا مَدَّعَ الذّاسَ } أَنْ يُوْمَدُوا } إلاّ ما سبق في علمنا وقضائنا أن يجري عليهم { قُلْ لِلذّٰئِنِ } من عذاب الاستئصال من المسخ والصيحة والخسف والغرق وعذاب الظلة ونحو ذلك ، وأراد بالأولين من أهلك من الأمم السالفة . وقال صاحب الغنيان : إلاّ إرادة أو انتظار أن تأتيهم سنتنا في الأولين ، ومن قدر المضاف هذا أو الطلب فإنما ذلك لاعتقادهم عدم صدق الأنبياء فيما وعدوا به من العذاب كما قال حكاية عن بعضهم { إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقِّ مِّنْ عِنْدِكَ } . وقيل : { مَا } هنا استفهامية لا نافية ، والتقدير وأي شيء { مَدَّعَ الذّاسَ } أن { يُوْمَدُوا } و { الْهُدَى } الرسول أو القرآن قولان . .

وقرأ الحسن والأعرج والأعمش وابن أبي ليلى وخلف وأيوب وابن سعدان وابن عيسى الأصبهاني وابن جرير والكوفيون بضم القاف والباء ، فاحتمل أن يكون بمعنى { قُبُلًا } لأن أبا عبيدة حكاهما بمعنى واحد في المقابلة ، وأن يكون جمع قبيل أي يجيئهم العذاب أنواعاً وألواناً . وقرأ باقي السبعة ومجاهد وعيسى بن عمر { قُبُلًا } بكسر القاف وفتح الباء ومعناه عياناً . وقرأ أبو رجاء والحسن أيضاً بضم القاف وسكون الباء وهو تخفيف قبل على لغة تميم . وذكر ابن قتيبة أنه قرء بفتحيتين وحكاه الزمخشري وقال مستقبلاً . وقرأ أبي بن كعب وابن غزوان عن طلحة قبلاً بفتح القاف وباء مكسورة بعدها ياء على وزن فعيل . .

{ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّاَّ مُبَشِّرِينَ } أي بالنعيم المقيم لمن آمن { وَمُنذِرِينَ } أي بالعذاب الأليم لمن كفر لا ليجادلوا ولا ليتمنى عليهم الاقتراحات }

